المقام والقرينة الحالية ودورهما في المعنى

الدكتورة صالحة حاج يعقوب

قسم اللغة العربية وأدابها

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

مقدّمة

ومن المناهج اللغوية التي تنظر إلى اللغة نظرة شاملة، قولهم بالمقام، وعلى ذلك فهو أشمل من نظر النحويين إلى جزئية العامل وجزئية حركة الإعراب، لذلك رأت الباحثة أنّ المقام من المناهج اللغوية ذات النظر الشامل للغة. هو سياق الحالة اللغوية من مجموعة الأشياء المشتركة بين المتكلم والسامع أي بين المرسل والمتلقى، والأشياء المشتركة بين المتكلم والسامع هي الثقافة والحالة النفسية التي عليها كل منهما حين يتكلمان. فالمقام يفسر لنا مثل هذه الجملة التي فيها الحال مشتركة (رأيت علياً راكباً) فلولا المقام الذي قيلت فيه هذه العبارة ما عرفنا من الراكب هل هو سعيد أم هو علي [1]. وهذا يخفى على غير النحويين فهم يرون أنّ صاحب الحال هو القريب منها أي أنّ (راكباً) حال من (علياً) وقال الأستاذ عباس حسن "ومنع بعض النحاة هذا الأسلوب لإبهامه" أي لغموضه ولكنّ المقام يزيل الإبهام والغموض الذي قال به الأستاذ عباس حسن[2].

رأي كمال بشر في المقام والقرينة الحالية في المعنى

ويقول الأستاذ كمال بشر "لقد اشتهر الأخذ بالمقام منذ زمن قديم والأخذ بالمقام يأخذ به علماء البلاغة لذلك قالوا لكل مقام مقال، وذكر الأستاذ كمال بشر نقلاً عن بشر بن المعتمر الذي ينقل عنه الجاحظ أنّه قال "المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة

---

[1] عبد الجبار توامة، **زمن الفعل في اللغة العربية قراءته وجهاته** (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م) ص 10-11.

[2] عباس حسن، **النحو الوافي**، 386/2.

الحال وما يجب لكل مقام من المقال" [3]. وعلّق الأستاذ بشر على أهمية المقام في النص السابق بقوله "هكذا نرى أنهم وفقوا في إدراك شيء مهم في الدرس اللغوي" [4]. وسمى الأستاذ بشر المقام بالمسرح اللغوي (Linguistic Theatre). والمقام – كما يقول الأستاذ كمال بشر- "مما يُصِرُّ اللغويون المحدثون على مراعاته" [5]. وقد تحدث ج.ر.فيرث عن context of situation أو عمّا سمى "بسياق الحال" وهو نوع من التجريد[6] من البيئة، أو الوسط الذي يقع فيه "الكلام"، وهذا التجريد يقوم به اللغويون للوفاء بدراستهم" [7]. أي أنّ تركيب اللغة يتعلق بالبيئة وكل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم العناصر التي وردت في هذه الوظائف اللغوية هى الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية، والنحوية، والقاموسية ولكل وظيفة من هذه الظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها. وأشار الأستاذ كما بشر[8] إلى حقيقة مهمة في دور الكلام بين السامع والمتكلم لما قال "إنّ الكلام يجب ألاّ يدرس منعزلاً عن المسرح اللغوي أي المكان الذي قيل فيه أي البيئة الاجتماعية والثقافية لأن ذلك يُعين على فهم المراد من معانيه. قال "وهذه نظرة وصفية لا معيارية"[9]. ولعله هنا يشير إلى تحكم العامل في الدرس اللغوي بما يجب وبما لا يجب في الكلام مما يقوله النحاة. وقال "خَلْقُ مسرح وجو للكلام المكتوب عمل شاق أي صعب يحتاج إلى باحث ذكي متكلم باللغة التي يقوم بدراستها بمعنى أن يكون الدارس هو من ابن اللغة... [10] وهذا يصعب علينا نحن – الماليزيين- ". أي أنّ اللغوي الدارس عليه أن يعمل على معايشة النص وإحياء المسرح اللغوي، حتى يستطيع أن يفهم النص، مثل ذلك أنّ شاعراً من ماليزيا لا يمكننا فهم كلامه إلا إذا عايشنا النص الشعري والمقام الذي قيل فيه وإذا

---

[3] كمال محمد بشر، **دراسات في علم اللغة** (مصر: دار المعارف، 1973م)، ص 57.

[4] المرجع السابق، ص 57.

[5] المرجع السابق، ص 57.

[6] الاستعانة.

[7] انظر محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقاريء العربي** (بيروت: دار الهضة العربية، 1992م)، ص 310.

[8] كمال محمد بشر، **دراسات في علم اللغة**، ص 57.

[9] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 57.

[10] المرجع السابق، ص 59.

قال الماليزي لآخر، هل يوجد هنا كانجيل (Kancil) فالمسرح اذن هو احدى غابات ماليزيا التي يعيش فيها حيوان مثل الثعلب يضرب به المثل في الذكاء والخداع. واذا ما قال الماليزي "أنا جئتُ هنا لأشتري (كانجيل) اللون أصفر والحجم صغير والكراسي مثيرة بالتكيف والسرعة متوسط بالتقسيط المريح، فهذا الكلام مسرحه احدى شركات بيع سيارة من طراز (كانجيل) التي سُمّيت باسم ذلك الحيوان لأنها صغيرة الحجم.

تمام حسان والمقام في ضوء دلالة المعنى

تعريف المقام عند تمام "أنّه يضم المتكلم والسامع والظروف الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة revealed في الماض والحاضر" [11] وسمي تمام حسان المقام بـــ context of situation أو الموقف اللغوي[12] وقال "إنّ المقام اللغوي هو أسلوب القول من إخبار أو إنشاء، وقال "المقام هو من امتزاج النحو والمعاني وهو شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها"[13]. وقال: إنّ البلاغيين كانوا متقدمين ألف سنة لما اعترفوا بدلالة المقام على معاني الكلام على الدراسات الغربية التي تحلل المعنى اللغوي. وكما رأى تشومسكي أنّ اللغة "كناية عن مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة منها طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العنصر، وكل اللغات الطبيعية، في شكلها المكتوب والمنطوق، تتوافق مع هذا التعريف، وذلك لأن كل لغة طبيعية، تحتوي على عدد متناهٍ من الفونيمات، وكل جملة بالإمكان تصورها كتتابع فونيمات، علماً بأن عدد الجمل غير متناهٍ[14]. ولما كان المعنى الدلالي للكلام يعتمد على أساسين هما المقال والمقام فقد رسم له تمام حسان الشكل التالي الذي نقتبسه من كتابه اللغة معناها ومبناها:-

[11] المرجع السابق، ص 35 .

[12] المرجع السابق، ص 337 .

[13] المرجع السابق، ص 337 .

[14] Noam. Chomsky, *Syntactic Structure* (The Hague: Monton Trad, 1969), p.15.

شمولية المقام في المعنى

وقال تمام أنّ المستوى الصرفي والنحو والمعجمي هي حقائق جزئية في المعنى أمام المعنى الدلالي[15]، وقال تمام مقامُ الكلام عنصرٌ اجتماعي ضروري جدًّا لفهم المعنى الدلالي بواسطته[16]. وقال: إنّ من لا يعرف المقام الذي نزلت فيه الآيات القرآنية فإنه لا يستطيع تفسيرها بألفاظها وتراكيبها كمعرفة المقام الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكثر من نفعهما﴾ [17]. وعلى من يريد أن يفسر هذه الآية أن يعرف المقام الذي بسببه نزلت، وهو كما ذكر أبو حيان[18] في تفسيره أنّ العرب الجاهليين كانوا جارين على شرب الخمر وهي عادة لهم، وأنّ الله تعالى علم أنهم كانوا يألفون الخمر وينتفعون بها، فجاء التحريم على التدريج في أربع آيات في القرآن رفقاً بالعباد.

وإذا ما قارنّا تمام حسان بالآخرين(كابن مضاء وإبراهيم مصطفى وإبراهيم أنيس وعبد الرحن أيوب وعبد القادر المهيري) في ردّ العامل فإننا نجد أنه يأتي بمنهج نعبره بديلاً للقول بالعامل والإعراب قائم على تضافر القرائن وهو النماذج عند ابن جني في الخصائص بين أصول التركيب اللغوي [19] وتضافر القرائن النحوية عند تمام لها قسمان: القرائن النحوية المعنوية والقرائن النحوية اللفظية[20]. ويقول تمام "تناول بعض النحاة كإبن مضاء العلاقة السياقية بالنقد والتفنيد والتجريح ولكنه يقدم تفسيراً مقبولاً لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعاني النحوية"[21]. وقال تمام أنّ فهم إبراهيم مصطفى للإعراب يبدو قصوره وإبهامه وقال تمام "أنّ العلامة الإعرابية ليست أكثر من واحدة من القرائن الكثيرة يتوقف عليها فهم الإعراب

---

[15] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 341 .

[16] المرجع السابق، ص 349 .

[17] سورة البقرة: 219.

[18] أبو حيان، **البحر المحيط**، 2/166-167.

[19] المصدر السابق، 2/40.

[20] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 191-231 بتصرف.

[21] المرجع السابق، ص 185.

الصحيح"[22]. وذكر أنّ الجرجاني صاحب أذكى محاولة لتفسير العلاقات في تاريخ التراث وقال "أنّه صاحب أذكى محاولة فسّرت العلاقاتِ السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن... وهو صاحب مصطلح التعليق"[23].

والإعراب يسميه تمام حسان قرينة التعليق، قال "وهو من أصعب القرائن لمن أراد الكشف عنها أي أنّ الإعراب هو أصعب عملية في النحو لمن أراد أن يكشف عن العلاقة السياقية في التراكيب"[24]. والآن تبدأ الباحثة في كشف حقيقة القرائن بنوعيها المعنوية واللفظية وهي القرائن التي اعتمد عليها تمام حسان؛ لاتخاذها منهجاً وصفياً علمياً لدراسة اللغة بعيداً عن فكرة العامل والإعراب:-

أولاً:-

القرائن المعنوية [25]وهي:

1)الإسناد[26] هو العلاقة الرابطة بين طرفي الاسناد، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل. وتعدّ هذه العلاقة عند فهمها قرينة معنوية على أن هذا مبتدأ وذلك خبر، وأن هذا فاعل وذلك فعل، وبذلك يكون الإسناد عندنا من قبيل القرائن السياقية المعنوية. وفي مثل: محمد مجتهد "محمد" مبتدأ ، و"مجتهد" خبر لأن كل مبتدأ لا بد له من خبرٍ، أو كل مسند إليه لا بد له من مسندٍ. وفي مثل: يذهب زيد، "يذهب" فعل مرفوع، "زيد" فاعل لأن كل فعل لا بد له من فاعلٍ. وفي مثل: ضرب محمد كلباً، فـــ "ضرب" مبني على الفتحة، "محمد" فاعل لـــ "ضرب"، "كلباً" مفعول به منصوب لأن كل فعل متعدٍ لا بد له من مفعول. فـــ "محمد" هو الذي ضرب "الكلب". فالكلب ضُرِبُ بمحمدٍ.

---

[22]المرجع السابق، ص 185.

[23]المرجع السابق، ص 186.

[24]المرجع السابق، ص 182.

[25]المرجع السابق، ص 191-231 بتصرف.

[26]المرجع السابق، ص 191 بتصرف.

2)التخصيص[27] هو معنى من معاني النحو عند الجرجاني أي هو قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني التي تقيد الإسناد وتربطه بجهة خاصة. ففي التعدية يلاحظ أن المفعول به قيد في الاسناد، نحو: ضرب زيد عَمْراً؟ أو يضرب زيد عَمْراً أو أضرب عَمْراً ؟ أو زيد ضارب عَمْراً أو أضارب زيد عَمْراً أو يضرب زيد عَمْراً أو اضرب عَمْراً أو ضربا عَمْراً. فإيقاع الضرب على عمرو تخصيص لعلاقة الإسناد أي أن الوقوع على عمرو كان قيدا في إسناد الضرب إلى من أسند إليه وكان أيضا جهة في الضرب حالت بينه وبين أن يفهم على اطلاقه فطوعته لأن يفهم من جهة وقوعه على عمرو وهذا هو المعنى الذي قصدت إليه بقولى: إنّ المفعول به هنا يعتبر تعبيرا عن الجهة وأن التعدية تخصيص لعلاقة الإسناد التي بين الضرب وبين من أسند إليه.

3)النسبة[28] هي قرينة معنوية تجعل علاقة الإسناد نسبية. والنسبة هنا غير التخصيص، لأن التخصيص تقييد على حين أن النسبة إلحاق. ويدخل في النسبة معنى الإضافة نحو قوله تعالى: ﴿تبّت يدا أبي لهبٍ وتب ﴾ [29] فاليدان هما يد أبي لهب لسبب قرينة النسبية. وكان النحاة حريصين على شرح ما تفيده معاني حروف الجر من تعليق، على أن التعلق بين الجار والمجرور وبين ما تعلقا به إنما يكون بمعنى الحدث لا بمعنى الزمن، نحو: جلس زيد على الكرسي، فإن الكرسي تعلّق بالجلوس بواسطة حرف الجر و لم يتعلق بالمُضِي كما يتضح من الشكل الآتي:

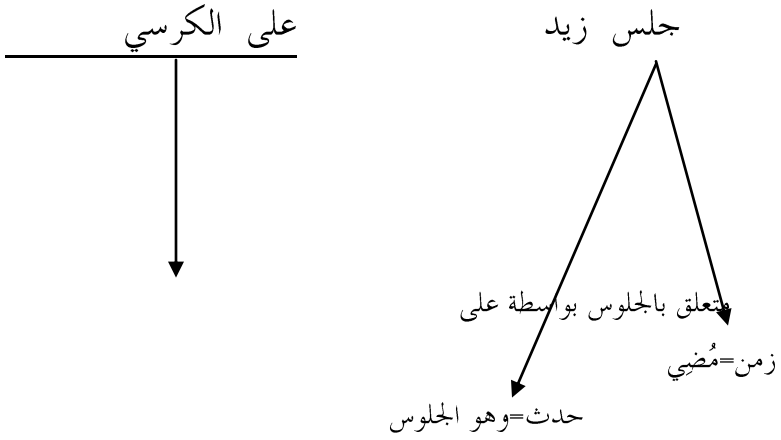

[27]المرجع السابق، ص 196 بتصرف.

[28]المرجع السابق، ص 201 بتصرف.

[29]سورة المسد: 1.

والجملة بهذا تعني مضى جلوس زيد على الكرسي فلا صلة للكرسي بالمضى وإنما تقوم الصلة بينه وبين الجلوس وأما العلاقة المباشرة للمضى فهي بالجلوس لأن معنى الفعل يشتمل عليها جميعا.

4)التبعية[30] هي قرينة معنوية عامة تضم فروعا: هي النعتُ والعطفُ والتوكيدُ والإبدالُ. وتتضافر مع هذه الفروع الدالة على التبعية قرائن لفظية كالرتبة، فرتبة التابع هي التأخر دوماً عن المتبوع، والمطابقة بين التابع والمتبوع ولا سيما في الإعراب، نحو: قام محمدٌ وعمروٌ – وأصلُه قام محمد وقام عمرو – ولا يجوز أن يوضع قام ثانياً لأن وظيفة الواو أو العاطف تحل محل تكرار الجملة.

5)المخالفة[31] هي قرينة معنوية يقصد منها أن جزءا من أجزاء التركيب، يخالف أحكام الإسناد الجاري، ويبدو هذا جلياً في باب الاختصاص والمفعول معه، والاختصاص نحو:

1)نحن الماليزيون

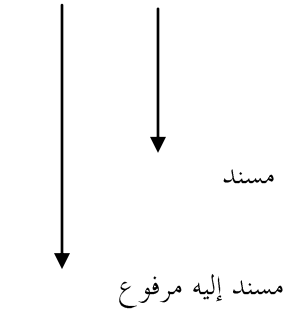

[30] المرجع السابق، ص 204 بتصرف.

[31] المرجع السابق، ص 200 بتصرف.

2)نحن – الماليزيين- نحب بلدنا

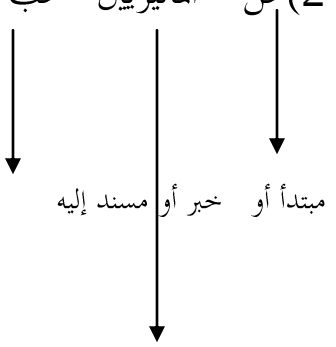

فـــ"الماليزيون" في الجملة الأولى "خبر". و"الماليزيين" في الجملة الثانية مختص. فـــ"الماليزيين" منصوب لأنه يخالفُ مقتضى الإسناد الذي يتطلب خبراً، ولذلك لا يمكن أن تُعربَ كلمة " الماليزيين " خبراً لأن المراد يخالف ما ذكر وهو أخص. ووظيفة الاختصاص تخصيص عموم موجود في الضمير (نحن).

6)المعية[32] هي قرينة معنوية تستفاد منها المصاحبةُ على غير طريق العطف أو الملابسة الحالية. والعطف والملابسة معنيان آخران يعبر عنهما بالواو يعبر بها عن المعية، وليس هنا صدد الكلام عن الواو قرينةً لفظيةً، ولكنْ كلامُنا هنا في القرائن المعنوية وفي قرينة معنى المعية بصفة خاصة. في مثل(لا تأكلِ السّمكَ وتشربَ اللبن). ومع أنّ معنى الواو هنا هو نفسه معنى الواو التي في المفعول معه. فيفرق النحاة بين معنيين متشابهين بسبب الاختلاف في التضام بين الواو وما يتبعها فالذي يضام الواو في المعية اسم منصوب والذي يضام الواو في المصاحبة مضارع منصوب. ومن هذا يتضح أن نصب المضارع بعد الواو على المعية من نوع نصب المفعول معه بعد الواو ذاتها.

7)الظرفية[33] أي هي قرينة على إرادة معنى المفعول فيه. فالظروف في اللغة العربية قسم من أقسام الكلم قائم بذاته. كل هذه الكلمات ليست ظروفا ولكنها تشترك مع الظروف في أمر

---

[32]المرجع السابق، ص 196 بتصرف.

[33]المرجع السابق، ص 196 بتصرف.

هام هي أنها تنقل إلى الظرفية فتفيد معنى المفعول فيه فتخصص زمان الحدث ومكانه على معنى "الاقتران"، نحو: حضر زيد إذ حضر عمرو، فإن "إذ" تقترن بين الحضورين.

8)التحديد والتوكيد[34] هي القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق. والمقصود بالتحديد والتوكيد تعزيز المعنى الذي يفيده الحدث في الفعل وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته لأن المصدر هو اسم الحدث ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل. نحو؛ قرأ محمد كتاباً قراءةً جيدةً، فـــ "قراءةً" مفعول مطلق منصوب بالفتحة أي يتأثر بمعنى "قَرَأَ". وهو العامل الأصلي في المفعول المطلق.

9)الملابسات للهيئات[35] هي قرينة معنوية على إفادة معنى "الحال" بواسطة الاسم المنصوب أو الجملة مع الواو وبدونها، نحو؛ "جاء زيد راكباً"، فالمعنى "جاء زيد" ملابساً لحال الركوب. وكذلك في مثل: جاء زيد وهو يركب. فالحال هنا عبر عنها بالجملة أي "هو يركب" والواو "تسمى واو الحال وواو الابتداء، والحال في هذه الجملة أي "راكباً" و "هو يركب" قيد للعامل السابق[36].

وأمّا القرائن اللفظية[37] فهي:

1)العلامة الإعرابية[38]، هي أوفر القرائن حظا من اهتمام النحاة، فجعلوا للإعراب نظريةً كاملةً سموها نظرية العامل، وتكلموا فيه عن الحركات ودلالاتها، والحروف ونيابتها عن الحركات، ثم تكلموا فيه عن الإعراب الظاهر، والإعراب المقدر، والمحل الإعرابي، ثم اختلفوا في هذا الإعراب، هل كان في كلام العرب أم لم يكن. وكان لقطرب ومن تَبِعَه من القدماء والمحدثين كلام في إنكار أن تكون اللغة العربية قد اعتمدت حقيقة على هذه العلامات في تعيين المعاني النحوية. وتمام حسان حين يرى أن حركة الإعراب متخلفة كما قوله تعالى ﴿ إنّ

---

[34]المرجع السابق، ص 198 بتصرف.

[35]المرجع السابق، ص 198 بتصرف.

[36]الأشموني علي بن محمد، **شرح الأشموني**، تحقيق محي الدين، ص 258.

[37]تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 205-231 بتصرف.

[38]المرجع السابق، ص 208 بتصرف.

الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى﴾ [39] فـــ الصابئون عطف على اسم إنّ. فإنما هو يعمل القرائن الأخرى ويتسامح في قرينة الحركة معتمداً على القرينة الكبرى قرينة الأداة. وهو بذلك يخالف رأي الكوفيين[40] الذين يقولون: إنّه يجوز العطف على موضع "إنّ" قبل تمام الخبر. فـــ الصابئون عطف على موضع "إنّ" قبل تمام الخبرِ والخبرُ جملةٌ هو قولُه تعالى ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [41]. والحجة الثانية من جهة القياس أنه يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر مع "لا" نحو (لا رجُلَ وامرأةٌ أفضل منك) فكذلك مع "إنّ" لأنها بمنزلتها، وإن كانت "إنّ" للإثبات و"لا" للنفي. وأما البصريون [42] فذهبوا إلى أنه لا يجوز العطف على الموضع بالنصب قبل تمام الخبر على كل حال. واحتجوا بأن قالوا: (إنّك وزيدٌ قائمان) وجب أن يكون (زيد) مرفوعاً بالابتداء، ووجب أن يكون زيد عاملا في خبره، وتكون (إنّ) عاملة في خبر الكاف، وقد اجتمعا في لفظ واحد، ولو قلنا"إنه يجوز فيه العطف قبل تمام الخبر، لأدّى ذلك إلى أن يعمل في اسم واحد عاملان، وذلك محال". فعلى ذلك فـــ (الصابئون) مرفوع بالابتداء، وهو منوى التأخير[43]. وكذلك في قوله تعالى ﴿ لكن الراسخون في العلمِ منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة﴾ [44] فتمام حسان يرى أنّ القرائن تغنى عن الواو في "المقيمين" فهو عطف على "الراسخون" بدون الواو. وهذا الرأي قريب ممّا ذهب إليه البصريون إلى أنّ "المقيمين" في موضع نصب على المدح بتقدير فعل[45]، وتقديره؛ أعنى المقيمين، أولا. وثانياً؛ أنه في موضع جر، ولكن بالعطف على "ما" من قوله (بما أنزل إليك) فكأنه قال: يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين. وهو خلاف رأي

---

[39] سورة المائدة: 69.

[40] الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**،1/175-176.

[41] سورة المائدة: 69.

[42] الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، 1/175-176.

[43] أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، 2/298.

[44] سورة النساء: 162.

[45] سيبويه، **الكتاب**، 1/243 بقوله "هذا الضارب زيدا، تقديره: هذا الذي ضرب زيداً" وعمل عمله.

الكوفيين[46] فهم يجوّزون العطف على الضمير المخفوض نحو_مررت بك وزيدٍ) فاحتجوا بهذه الآية (المقيمين) في موضع خفض بالعطف على الكاف في (إليك) والتقدير؛ يؤمنون بما أنزل إليك وبالمقيمين الصلاة يعنى الأنبياء عليهم السلام. وكذلك يجوز أن يكون عطفًا على الكاف في (قبلك) والتقدير:ومن قبل المقيمين الصلاة يعني من أمتك.

2)الرتبة[47] هي وصف لمواقع الكلمات في التراكيب. وللرتبة نوعان هما: رتبة محفوظة، ورتبة غير محفوظة. والرتبة المحفوظة تخص النحو؛ لأن أي اختلال يمسها يجعل التركيب مختلا غير مقبول. على حين أن الرتبة غير المحفوظة تخص البلاغة، إذ اهتم بها علمُ المعانى الذي بيّن أغراض التقديم والتأخير ضمن دراسة للأسلوب لا للتركيب كما قدّم عبد القاهر الجرجاني في "النظم". ومن أمثلة الرتبة المحفوظة تقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، والفعل على الفاعل، والمضاف على المضاف إليه وغيرها. ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة تقدم المبتدأ على الخبر، والفاعل على المفعول. وكذلك في الرتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا كأن أمن اللبس يتوقف عليها، نحو؛ "ضَرَبَ موسى عيسى"، و "أخي صديقي". إذ يتعين في "موسى" ان يكون فاعلا وفي "أخي" أن يكون مبتدأ محافظة على الرتبة لأنها تزيل اللبس.

3)الصيغة[48] ومما يساعد على فهم معنى الكلام الصيغة الصرفية وهي المبنى الصرفي للأسماء والأفعال والصفات وهي قرينة لفظية على المعنى تساعد حركة الإعراب وتقلل من دورها يقدمها علم الصرف للنحو.وأمثلة هذه القرينة في بيان المعنى النحوي كثيرة، كالفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر ونائب الفاعل ونحو ذلك، يطلب فيها أن تكون أسماء لا أفعالاً، نحو؛ زيد قائم، فـــ "قائم" يقيد بكلمة زيد مفردا وجنسا، وكذلك في سعاد قائمة، تتأثر سعاد مفردا وجنسا.

---

[46]الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، 3/2-5.

[47]تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 207 بتصرف.

[48]المرجع السابق، 210 بتصرف.

4)المطابقة[49] ومما يساعد على معنى الكلام إلى جانب الإعراب المطابقة بين أجزاء الكلام وهي قرينة لفظية توثّق الصلة بين أجزاء التركيب، وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين وإذا ما اختل شيء من المطابقة أصبحت الكلمات الواردة في التركيب مفككة العُرَى مما يؤثر في المعنى تأثيرا سلبياً. وتكون المطابقة في خمسة أمور: العلامة الإعرابية، والشخص (التكلم والخطاب والغيبة)، والعدد (الأفراد والتثنية والجمع)، والنوع (التذكير والتأنيث)، والتعيين (التعريف والتنكير)، نحو؛ الرجلان الفاضلان يقومان، ومع إزالة المطابقة- مثلا- في الشخص، تصبح الجملة: الرجلان الفاضلان تقومان، والمعنى هنا لا يستقيم، والصواب(الرجلان الفاضلان يقومان) بتذكير الفعل.

5)الربط[50] هو قرينة لفظية تدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر. وللربط دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام، وتوضيح معنى الإسناد، ويتم الربط بين الموصول وصلته، والمبتدأ وخبره، والحال وصاحبه، والمنعوت ونعته، والقسم وجوابه ونحو ذلك. ويكون الربط بالضمير مستترا وبارزاً، فالمستتر نحو؛ (زيد قام) والبارز نحو؛ (زيد قام أبوه).

6)التضام[51] هو أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنصراً آخر، فيكون التضام على هيئة (التلازم)، وعكسه أن يتنافى معه فلا يلتقى به، ويكون حينئذ على هيئة (التنافى). ومن أمثلة (التلازم): الموصول وصلته، وحرف الجر ومجروره، وواو الحال وجملة الحال، وغير ذلك، أما بالنسبة للتنافى، فإنه يعد قرينة سلبية على المعنى يمكن بواسطتها أن نستبعد من المعنى أحد المتنافيين عند وجود الآخر، فإذا وجدنا التنوين، استبعدنا الإضافة، وإذا وجدنا كلا وكلتا استبعدنا فيما أضيف إليهما أن يكون مفرداً أو جمعاً أو نكرةً...بل هو مثنى نحو قوله تعالى ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ [52] .والتضام التلازم، نحو؛ محمد يذهب إلى المدرسة، فكلمة "يذهب" يقترن بحرف "إلى" وليس "مِنْ" أو "في". وأما في مثل الضميمة الحذفية: زيدا ضربته،

---

[49]المرجع السابق، 211 بتصرف.

[50]المرجع السابق، ص 213 بتصرف.

[51]المرجع السابق، ص 216 بتصرف.

[52]سورة الكهف: 33.

وهو في ضوء التضام غير مطلوب للضميمة المذكورة. وكذلك وجوب الفعل أدعو قبل (يا) النداء في مثل: يا زيدُ، المعنى لا يستقيم بإرادة الفعل "أدعو" فهو قائم بالاستدلال الوجودي بين ضميمة الأداة والمنادى.

7)الأداة[53] وهي مبني صرفي يؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي وتشترك الأدوات جميعا في أنها لا تدل على معانٍ معجميةٍ، إنما تدل على معنى وظيفي هو التعليق. وهي على نوعين: الأول؛ الأدوات الداخلة على الجمل والثاني الأدوات الداخلة على المفردات. فأما الأدوات الداخلة على الجمل فرتبتها على وجه العموم الصدارة، وفي مثل الترجي: لعل زيداً قائمٌ. وأما الأدوات الداخلة على المفردات؛ نحو؛ ما أحسن السماءَ، ولكل أداة من هذه الأدوات ضمائمها الخاصة فهي تتطلب بعدها شيئا بعينه فتكون قرينة متعددة جوانب الدلالة حيث تدل بمعناها الوظيفي وبموقعها وبتضامها مع الكلمات الأخرى، وبما يكون متفقًا مع وجودها علامات إعرابية على ضمائمها.

8)النغمة[54] قال ابن جني عن التنغيم الذي يحل محل المحذوف من الكلام " هو أن تزيد في قوة اللفظ بالمط وإطالة الصوت وتفخيم[55] ويساعد على توجيه المعنى فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة. فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات وهي تختلف من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة. فلكل جملة من هذه صيغة تنغيمية خاصة فاؤها وعينُها ولامُها وزوائدها وملحقاتها نغمات معينة بعضها مرتفع وبعضها منخفض وبعضها يتفق مع النبر وبعضها لا يتفق معه. وبعضها صاعد من مستوى أسفل وبعضها هابط من مستوى أعلى. فيلاحظ أن الإثبات والنفي والشرط والدعاء ينتهى بنغمة هابطة على آخر مقطع وقع عليه النبر، أمّا الاستفهام بالأداتين(الهمزة وهل) فإنه ينتهي بنغمة صاعدة على النقيض من

---

[53]تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، 224 بتصرف.

[54]المرجع السابق، 226 بتصرف.

[55]ابن جني، **الخصائص**، 371/1.

الاستفهام بالظروف ونحوها. لذلك وجدنا أن الصيغة التنغيمية منحنى نغمى خاص بالجملة يعين على الكشف عن معناها النحوي كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي. ومن هذه النقاط المهمة اكتشافُ تمام حسان شيئاً جديدًا أي أن المعنى النحوي ومعنى الكلام ما هو إلا مُحصِّلة لتضافر القرائن المعنوية واللفظية، التي قد يُغنى بعضها عن بعض إذا أُمِنَ اللبسُ. فإذا كان الوصول إلى المعنى دون لبس مُمْكِناً، فإن الناطقين باللغة يترخّصون في أمر القرائن التي لا فائدة من ذكرها توخياً لما يمكن أن يطلق عليه(الاقتصاد اللغوي) كما ذكره ابن جني[56] في مثل: رأيت الهنداتِ، أن العرب لم يفعلوا ذلك مع إمكانه وزوال الضرورة التي عارضت في المذكر عنه فقالوا "رأيت الهنداتْ" فهذا دلّ على إيثارهم واستحبابهم حمل الفرع علىالأصل، وإن عَرِيَ من ضرورة الأصل.

لذلك فتمام حسان يقلل من دور حركة الإعراب التي يستوجبها العامل وذلك بتضافر القرائن على المعنى اللغوي البديل لحركة الإعراب. ويرى تمام أن العلامة الإعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى، فلا قيمة لها بدون ما أطلق عليه(تضافر القرائن).

فهمت الباحثة من تمام حسان وكمال بشر وهما يحللان نص الجرجاني الصعب "أنّ التعليق أو الربط بين أجزاء الجملة هو الفكرة الأساسية والمركزية في النحو، وقال إنّ التعليق له دور كاف للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية" [57]. وتقول الباحثة إنّ التعليق عند الجرجاني هو ربط الجمل ببعض مع معاني النحو ومراعاة أحكامه، وأحكامه هي الحكم أو القانون وهو ما يسمى – كما يقول د.تمام حسان- بالعلامة السياقية أو ما يسميه الغربيون Syntagmatic Relation وهي قرائن معنوية وعلاقات سياقية بسبب الربط، وحكمها العمل او دوال النسبة أو حركة الإعراب عند غير تمام حسان. وقال د.تمام حسان أنّ أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر الجرجاني هو التعليق أو الربط المنظم بين الجمل أي تعلق الكلام بعضه ببعض

---

[56] المصدر السابق، 112/1.

[57] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 189.

بواسطة علائق لفظية ومعنوية فالجرجاني يرى أنَّ ما نسميه بالربط هو تعلق الكلام وأخذ بعضه بحجز لبعض. ولعل ما نسميه الحكم الذي هو نتيجة للربط هو ما نصحنا به الجرجاني كما قال: "عليك في سلامة النظم أنْ تتوخى معاني النحو وأحكامه، التي وصفها تمام حسان بالعلاقة السِّياقية ويقول الجرجاني "أن ليس هو شيئاً غير توخّى معاني هذا الكلم وأحكامه فيما بين الكلم، والله الموفق الصواب"[58].

ترى الباحثة أن الفروق بين الكلام داخل الجملة مثل رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه تلعب دوراً في فهم دلالة الكلام ولكن بمساعدة باقي العلاقات السياقية ونفس كلام الجرجاني مقصود لدى ابن جني في الخصائص أنّ كل اللغة مبنية على اختلاف الإعراب لاختلاف المعنى كما في قوله " إنما هو لتحصين المعنى وتشريفه، والإبانة عنه وتصويره، ألا ترى أن استمرار رفع الفاعل، ونصب المفعول، إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول، وهذا الفرق أمر معنوي، أصلح اللفظ له وقيد مَقَاده الأوفق من أجله" [59] . وقد قال عنها الجرجاني في كتابه الدلائل: على المتكلم وهو ينظم كلامه أن ينظر إلى معنى الكلام بسبب التضام والربط ولكل دور العالم ودور الإعراب والحركة التي يقولون أنها أثر بسبب العامل. وهي إشارة ذكية من عبد القاهر الجرجاني إلى القيم الخلافية أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو المبنى والمبنى. وأشار د.تمام حسان أنّ الجرجاني لما قال "واستعمال بعضها مع بعض كأنّه ذلك إشارة إلى التضام أي أن الكلمة تطلب اختها"[60].

وخلاصة القول مما سابقاً، وجدت الباحثة أن بعض القدماء والمحدثين لاحظوا أنّ منهج الدراسة اللغوية في المقام والقرينة الحالية في المعنى هو منهج أخر بديلاً عن دراسات حركات

---

[58] المرجع السابق، ص 189.

[59] ابن جني، **الخصائص**، 143/1.

[60] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 187.

الإعراب في تعليم اللغة العربية. وهذا المنهج يمكن أن نطبّقه في البيئة غير العربية لا سيما ماليزيا.

المراجع

Noam. Chomsky, *Syntactic Structure* (The Hague: Monton Trad, 1969),

ابن جني، **الخصائص**، بيروت: دار الكتاب العربي،1952.

أبو حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ، 1413هـ - 1993م.

الأشموني علي بن محمد، **شرح الأشموني**، تحقيق محي الدين، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1918 م.

الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف** ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط. 1، . 1998م.

تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، القاهرة: دار الثقافة، 1992م.

الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق البدراوي زهران . القاهرة: دار المعارف ، ط. 2، د.ت.

سيبويه، **الكتاب**، تحقيق إميل بديع يعقوب. بيوت: دار الكتب العلمية، 1999م.

عبد الجبار توامة، **زمن الفعل في اللغة العربية قراءته وجهاته**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م.

كمال محمد بشر، **دراسات في علم اللغة**. مصر: دار المعارف، 1973م.

محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقاريء العربي** . بيروت: دار الهضة العربية، 1992م.

الدكتورة صالحة حاج يعقوب

قسم اللغة العربية وآدابها

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

عنوان البريد: niknajah@iiu.edu.my

الهاتف: 603-61965114

الفاكس: 603-61965049